

الحدث اللساني في المعجم الثوري الجزائري

بين السياق والتأويل

بوحسون عبد الله

طالب دكتوراه، إشراف: أ.د. أحمد عزوز

جامعة وهران1-أحمد بن بلة-

الملخص:

يعالج هذا المقال بعض المصطلحات التي شاعت على لسان العدو الفرنسي زمن الثورة الجزائرية، وهذه الدراسة تدخل ضمن اللسانيات التداولية؛ إذ تكشف الغطاء على بعض المفاهيم التي لا تحدها الألفاظ الظاهرة، بل تخضع للمقام والموقف. ومنها: المتمرّدون، العصاة، الخارجون عن القانون، الفلاغة، الجماعات الإجرامية.

الكلمات المفتاحية: المصطلح الثوري، التداولية، الحدث اللساني.

Résumé :

Cet article traite de certains des termes qui étaient communs sur les lèvres de l'ennemi heure française de la révolution algérienne, et cette étude relève de la pragmatisme; elles révèlent le couvercle sur certains des concepts qui ne sont pas définis par phénomène de mots, mais il est soumis au sanctuaire et l'attitude. Y compris: les rebelles, Outlaws, Filagha, groupes criminels, désobéissants.

Ies mots clés : Le terme révolutionné, la pragmatisme, événement multilingue.

This article addresses some of the terms that were common on the lips of the French time enemy of the Algerian revolution, and this study fall within the pragmatism; they reveal the lid on some of the concepts that are not defined by words phenomenon, but is subject to the shrine and attitude. Including: rebels, disobedient, Outlaws, Filagh, criminal groups

Keywords : The revolutionary term, pragmatism, event lingual.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله محمد الهادي الأمين
وعلى آله والتابعين بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

لقد سنحت لي الفرصة بالمشاركة في الملتقى الموسوم "المعجم الاصطلاحي
لألفاظ الثورة التحريرية الجزائرية بين الدلالة والتوظيف" الذي نظمه مختبر اللغة العربية
والاتصال بجامعة وهران يوم 08 ماي 2013 تحت إشراف أ/د أحمد عزوز، احتفاء
بذكرى الثامن ماي 1945، بمدخله وسمتها: "الحدث اللساني في المعجم الثوري
الجزائري بين السياق والتأويل". وهي محاولة مني في التواصل مع التراث الجزائري
باعتباره الماضي الذي نرتكز عليه في بناء المستقبل.

وتمحورت الدراسة حول التباين الموجود في المفاهيم في سياق الخطاب لدى
طرفي الصراع في الحقبة الثورية؛ أي بين العدو الفرنسي الغاشم والاحتل الجزائري المظلوم.
واكتفيت بالتركيز على بعض المصطلحات وتحليلها بما يخدم الموضوع.

أولاً: المقدمة:

يقول تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ
هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ¹﴾

لا يستبعد القارئ لهذه الآية الكريمة المفهوم الظاهري للألفاظ داخل السياق
القرآني، فيدخل في معجم البغض كل فرد يهودي ونصراني، وبذلك يعتبره عدوا
للمسلم أنى يحيا.

غير أن الله عز وجل ذكر في موضع آخر ما هو أكثر توضيحا ومنعا لحكم التعميم.
فقد تضامن مع الحركات التحررية العديد من المستشرقين أمثال جون بول سارتر، وألبير كامو،
وفرانس فانون وغيرهم ممن كان لهم موقفا إيجابيا مع الثورة الجزائرية.

1- سورة البقرة: آ/ 120.

يقول تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾¹

وحديثي عن الخطاب الذي تزامن مع الثورة التحريرية المباركة إنما أهدف من خلاله إلى كشف الغطاء على بعض المفاهيم التي لا تحددها الألفاظ الظاهرة، بل تخضع للمقام والموقف، بعيدا عن البنية النحوية والبلاغية للسياق العام.

وما لاحظته على بعض المصطلحات التي جرى استعمالها في خطابات الفرنسيين تباين مدلولها عند الجزائريين؛ رغم اشتراكها في جنس واحد وهو الإنسان، باعتباره علامة أو دالا له صورته في ذهن المتلقي. ومنها: المتمردون، العصاة، الخارجون عن القانون، الفلاغة، الجماعات الإجرامية، المتسخون... إلخ. وكلها صفات نُعت بها المجاهدون الأحرار.

ولما كانت اللغة تؤدي وظائف متعددة فمرد ذلك للتوافق في البينيتين الإعرابية والدلالية داخل سياق الجملة، على أن ذلك نظام لغوي به يستقيم المعنى المقصود، وإذا لم يُحترم هذا النظام تخضع المرسلات اللفظية تبعا له إلى عدة تأويلات ربما تكون مجازية أو إيجائية.

وعليه كيف تفسر اللسانيات التداولية النص الثوري في ظل هذه المفاهيم؟

ثانيا: العلامة اللغوية في نظر التداولية بين الاستعمال والتحليل:

تدرس اللسانيات الغربية المعاصرة العلامة وفقا لثلاثة مستويات هي:

(1) المستوى التركيبي: ويهتم بالعلامة اللسانية موصولة بباقي العلامات داخل المقطع التلفظي الواحد.

(2) المستوى الدلالي: وتتحد فيه علاقة العلامة اللسانية بالمدلول، ونجده عند دوسويسر .

(3) المستوى التداولي: ويدرس العلامة اللسانية مراعيًا فيها المتكلم والسياق والمرجع وعالم الخطاب.¹

وهو ما تعمل اللسانيات التداولية² على تجسيده في مجال الدراسات كي لا نتقيد باعتبارية اللغة من خلال علاقة الدال بالمدلول بل نتجاوزها إلى وظائف اللغة التي قال بها علماء الاتصال.

وحتى لا أطيل الحديث نتأمل على سبيل الذكر لا الحصر ما يأتي:

✓ **الاستعمار:** لقد قال الشيخ البشير الإبراهيمي عن هذا اللفظ أنه مأخوذ من (عمر) ضد خرب. ويعني عمليا الخراب والتخريب وليس الإعمار³ الذي خلق الله الإنسان لأجله وجعله خليفة في الأرض.

1- ينظر صابر الحباشة: من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، دار صفحات، سورية، 2009؛ ص: 21.

2- أحمد حساني: السياق والتأويل من الإشكالية الفيلولوجية إلى الإشكالية اللسانية، مجلة الموقف الأدبي، العدد 395، اتحاد الكتاب العرب، سوريا 2004؛ ص: 64.

3- أحمد طالب الإبراهيمي: آثار البشير الإبراهيمي 1952-1954، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1997؛ ص: 380.

ولا شك في أن الاستعمار غزو عند الشعوب التي عاشته وذاتت ويلات من استنزاف للخيرات واغتصاب للأرض والعرض وتعطيل لحركة التنمية وتقييد للحريات. غير أن الفرنسيين قبلوا هذا المفهوم وزيفوه إبان اندلاع الثورة؛ فمما جاء في أحد خطاباتهم قولهم: "إن بعض المشوشين ومن بينهم جماعة من الأجانب قد أغرقوا بلادنا في حوادث دامية وتمركزوا أخيرا في منطقتكم، إنهم يعيشون في مواردكم الخاصة، ويفرضون عليكم الضريبة، ويجبرون رجالكم على الخروج من ديارهم إلى مغامرة إجرامية"¹.

ونلمس ذلك في استخدامهم للضمير المتصل(نا) في (بلادنا)، وهو تعدّ صريح وواضح على اللفظ بعد الأرض. فمن ملكهم هذه الأرض حتى يجيزوا لأنفسهم ملكيتها؟.

كما نجد في هذا الخطاب دسائس المكر والخداع التي توحى به هذه (النون) في إعادة محاولة فرنسا لتكريس فكرة الإدماج بأسلوب جديد لعلّها تجد آذانا صاغية تتصدى إلى جانبها للثوار، ولا نشك في فهم جيل الثورة لذلك حيث واصل مسيرته الثورية.

وقد استخدمت ضمير المخاطبين (كم) استعطافا منها للجزائريين، وطلبا للإشفاق عليها حينما نسبت إليهم مناطق اندلاع الثورة والموارد الخاصة، وحاولت إلى جانب ذلك خلق فجوة وشقاق بين الشعب والثوار في احتضانه للثورة واستجابته لتقديم المساعدات المادية لهم، حيث وصفت تلك المساهمات بالضريبة. وفي هذا اعتداء كذلك على اللفظ ومعناه المتمثل في تجسيد أحد القيم الدينية والإنسانية

1- أحسن بومالي: أول نوفمبر 1954 بداية النهاية لـ "خرافة" الجزائر الفرنسية، دار المعرفة، الجزائر 2010؛ ص: 163.

المتمثلة في المؤازرة وتقوية أواصر الأخوة المعروفة في العرف الجزائري. وحجتنا في وصف هذه الظاهرة بالتعدي على اللغة العربية ما قاله أحد قادة الاحتلال وهو يوصي جنوده: "علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة"¹.

وقد سألت أحد المهاجرين عن الفرق في استعمالهم للضميرين "أنت toi - وأنتم VOUS"، فأجابني بأنهم يرفضون مخاطبتهم بالضمير "أنت" لأنهم يرون في ذلك إساءة لهم وإنقاصا من قيمتهم، ويفضلون نعتهم بالضمير "أنتم".

وأعتقد أن لهذا الاستعمال مرجعية علمية وتاريخية؛ فأما العلمية فيمثلها الإنسان العلمي الحديث في إشارته للظواهر المحيطة به بالضمير "هو"، في حين الإنسان البدائي يشير إلى الظواهر بـ"أنت". وبذلك يحيلنا الضمير الأول إلى الدلالة على السمو، والثاني على الجهل والتخلف. وأما بالنسبة للمرجعية التاريخية فأرى بأن لهذا الاستخدام علاقة بالعقيدة المسيحية المحرفة، إذا أخذنا بعين الاعتبار ما قالوه عن الله "ثالث ثلاثة"، وبذلك يكرس تفضيلهم لاستخدام ضمير الجمع نفى التوحيد².

وقد تعددت المصطلحات الثورية، فمنها ما يمثل فخرا لنا ومنها ما هو مذلة. ونحاول تسليط الضوء على بعضها:

✓ أمازيغ: يحيلنا هذا المصطلح إلى انتخابات 1948³، إذ طالب الاستعمار الفرنسي بإشراك الجزائريين في البرلمان غير أنه قوبل بالرفض والمقاطعة.

1- محمد مورو: الجزائر تعود لمحمد- صلى الله عليه وسلم- المختار الإسلامي، القاهرة، 1992، ص: 79.

2- ينظر هـ. فرانك فورت وآخرون: ما قبل الفلسفة، تر: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات، ط3، 1982، ص: 15.

3- ينظر العربي الزيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1999، ص: 167.

ومعنى هذه الكلمة أحرار¹، ويشترك فيها جنس الإنسان إذ يقف فيها منددا بكل أشكال التعسف والاضطهاد في العالم. وقد كشف الأمازيغ تلك المؤامرة الانتخابية التي تسعى إلى زرع العداوة بين أفراد الوطن الواحد وبت الفرقة بينهم وتشتيت أمرهم وذلك بفضل عقيدة التوحيد التي وحدت المساعي والغايات عندهم، فالعدو هنا مسيحي متطرف والمعتدى عليه مسلم. وملة المسيحي تقتضي إقناع المسلم الجزائري آنذاك باتباعه في الانتخابات لأنها لو صدقت لكان ذلك استسلاما لحكم فرنسا واعترافا بسيادتها على الجزائريين. ولكن هيهات هيهات! فقد "برح الخفاء وكشف الغطاء"².

أو لم تسمع فرنسا قول الشيخ ابن باديس:
 شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
 من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
 وقول مفدي زكرياء:

رسول الشرق.. قل للشرق إنا على عهد العروبة سوف نبقي
 وأنا في الجزائر خير شعب عروبتة مدى الأجيال وثقى.³
 وإذا كانت فرنسا قد جعلت الظلم والعدوان أحد حقوقها على الجزائر، فإن للشعب الجزائري واجب الثورة ضد الظلم والظالمين⁴. فقد تناست فرنسا بأنها كانت تنادي إلى التحرر في حربها ضد الألمان لأن ذلك حق للشعوب.

1- ينظر يحيى أبو زكرياء: الجزائر من أحمد بن بلة إلى عبد العزيز بوتفليقة، 2003، ص: 6.

2- ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، ج3، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983، ص: 20.

3- مفدي زكرياء: اللهب المقدس، موفم للنشر الجزائر 2012؛ ص: 104 و 105.

4- ينظر أحمد الشنقيري: قصة الثورة الجزائرية، ص: 4 (www.tootshamy.com).

ولطالما سعت إلى سياسات الإصلاح سعيا كبيرا ضنا منها أن هذا الشعب جاهل بحقيقة تواجدها، محاولة تناسي الجهود الثورية مع الأجداد الورعين أمثال المقراني والأمير عبد القادر وفاطمة لالة انسومر، وقد تميزوا بالطهارة والنبل لأن ذلك من تعاليم الإسلام. ويحضرني في هذا المقام قول الشاعر:

ترجو الوليد وقد أعياك والده وما رجاؤك بعد الوالد الولدا.¹

وكان أول الدفاع انتهاج السبل السلمية على أن ذلك موروث من الذاكرة العربية سواء في الجاهلية أو في الإسلام. ولما لم ينفع حُمل السلاح لرفع الذل والهوان وذلك ما تقتضيه الظروف. قال مفدي زكرياء:

وإذا الشعب داهمته الرزايا، هب مستصرخا، وعاف الركودا²

✓ **الإرهاب:**³ جاء في المعجم الوسيط "أرهب فلانا، ورهبه: خوَّفه وفرَّعه"، و"الإرهابيون" وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية.⁴

وقد أطلقها الفرنسيون آنذاك على الأحداث والمجاهدين كي تكسبهم صفة الإجرام بجميع أشكاله، وأهمها إحداث الفرع والهلح في أوساط الآمنين، لأن فرنسا اطمأنت لوجودها الذي طال أكثر من قرن.

لكن هذا المصطلح لا أثر له في الفكر الإسلامي بهذا المعنى. ولفظ (ترهبون) الوارد في الآية 60 من سورة الأنفال لا يتناسب مع ما عبرت عنه فرنسا ولا مثيلاتها من

1- ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ص: 34.

2- مفدي زكرياء: اللهب المقدس؛ ص: 20.

3- أحسن بومالي: أول نوفمبر 1954 بداية النهاية لـ "خرافة" الجزائر الفرنسية، ص: 153. (نقلا عن جريدة صدى الجزائر الصادرة في 1954/11/02).

4- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (باب الزاي)، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص: 376.

الشعوب كأمريكا وإسرائيل. يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾¹.

ويدل لفظ (ترهبون) في هذا المقام على القوة العسكرية من حيث العدد والعدة² بين المؤمنين والكفار أثناء الحرب، ومرجع ذلك اعتماد الحواس ولاسيما السمع والبصر. فكثرة العدد وقوة قعقة السلاح تشعران الخصم بالرهبة. ولذلك لم يرد هذا المفهوم عند العرب ولا المسلمين لأن شيمهم ترفضه لاحتوائه على معنى الظلم في حال وقوعه على الآمنين من الأبرياء.

وقد غيرت فرنسا مفهومه كي يخدم مصالحها آنذاك ومنها تزوير تاريخ جزائر العروبة والإسلام، ومن المصطلحات التي استخدمتها والتي تقصد من خلالها إلى إذلال الشعب الجزائري وتصغيره ما قاله العدو الغاشم: "أيها المسلمون لا تتبعوهم والتحقوا حيناً بمناطق الأمن أنتم وأسركم وأموالكم... وأنتم أيها الرجال الذين تجندتم بدون تفكير، فإذا لم ترتكبوا أية جريمة عودوا حيناً إلى مناطق الأمن بسلاحكم، ولن تتعرضوا لأي سوء أو مكروه، وقرباً ستنزل الصاعقة على المتمردين. وبعد ذلك يعود السلام الفرنسي من جديد"³

✓ **الثوار:** لفظ سمي به الرجال الصناديد أيام الخطوب، وهي جمع مفردة (ثائر) بوزن فاعل، والثائر هو الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك تأره.⁴

1- سورة الأنفال: 60 / آ.

2- ينظر شاكر الحاج: بين التوراة والقرآن، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان؛ ص: 53.

3- أحسن بومالي: أول نوفمبر 1954 بداية النهاية لـ"خرافة" الجزائر الفرنسية؛ ص: 163.

4- المعجم الوسيط، (باب الثاء)، ص: 92.

وهذا اللفظ مفعم بمعاني العنف والغضب والطيش، فالموصوف به يجهد نفسه ويلزمها باستثمار كل طاقاته المادية والمعنوية للنيل من عدوه، مما حدا بالجنرال (بوفر) إلى القول: "لم يكن الثوريون سوى وسائط مضحكة وجاهوا فرنسا".¹

ولكنها في واقع الحال وأثناء الثورة أعطت معاني سامية لموصوفها، ومنها الرزانة والحكمة والصبر والتبات على وحدة المبدأ والهدف، والشجاعة والإقدام والمروءة. فطابق فعل الثوار قول الشاعر إياس بن قتاده:

تعاقب أيدينا ويحلم رأينا ونشتم بالأفعال لا بالتكلم.²

وتندرج ضمن معجم الثوار المصطلحات التالية: مجاهد - مناضل - مسبل - فدائي. فأعمالهم لم تخل من الإيمان والدقة والصدق والإخلاص والإتقان، وإلا لما كان النصر.

ولقد حاول العدو الفرنسي الإساءة والتحقير إلى هؤلاء العظماء بنعوت دينية تجرمهم ومنها:

✓ **المرتزقة:** وتعني من لا هدف له إلا المصلحة الشخصية.³ والجنود المرتزقة هم: الذين يحاربون في الجيش على سبيل الارتزاق، والغالب أن يكونوا من الغرباء.⁴

✓ ولا أرى في طلب الرزق عيبا مادام مصدره شريفا، ولا سيما في تحقيق الأمن داخل صفوف الجيش، بل والأعظم شرفا فيه أنه ضد قوة معادية للإسلام

1- محمد مورو: الجزائر تعود لمحمد - صلى الله عليه وسلم - المختار الإسلامي، القاهرة، 1992، ص: 103.

2- ابن قتيبة: فضل العرب والتنبيه على علومها، تح: وليد محمود خالص، منشورات الجمع الثقافي، ط1، الأردن 1998؛ ص: 196.

3- ينظر أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996؛ ص: 60.

4- المعجم الوسيط، (باب الزاي)، ص: 342.

استباححت كل شيء في أرضه وأهله. بالإضافة إلى ذلك لمست في هذه الكلمة بحسب المقام الذي قيلت فيه معنى التطهير، فحاملها يستमित في إزاحة عدوه الملطخ بدماء الجزائريين الأبرياء.

وتندرج تحت هذا النعت الموجه إلى المجاهدين كلمة: فلاغه، وخارجون عن القانون، ودميون، ومتسخون¹.. وغير ذلك.

وأشير هنا إلى ما يقابل لفظ (المتسخين) عند الجزائريين حيث جاء في بيان أول نوفمبر 1954 ما يلي: "...كما نرغب في أن نزيل عنكم تلك البلبلة التي يعمل على تنميتها الاستعمار وعملاؤه من الإداريين والسياسيين المتعفنين"². والوسخ هو ما يعلو الأشياء من الدّرن وقلة التعهد بالماء³، ويذول بإرادة حامله.

وأما العفن فهو فساد الشيء⁴، وتنعدم في حامله إمكانية الإصلاح أي لا إرادة لصاحبه فيه، كما يبعث على النفور من موصوفه.

وكل هذه الاعتداءات الفرنسية التي مست اللغة قبل الأجسام إنما غرضها في ذلك محاربة الإسلام والقضاء عليه، فقد صرح أحد قادتها قائلاً: "إننا جئنا إلى الجزائر لندفن القرآن لا ليحيا"⁵.

1- (هذا الوصف قال به سبيلمان spilman). ينظر يحي بوعزيز: الثورة في الولاية الثالثة 1954-1962، دار الأمة، الجزائر 2012؛ ص: 107.

2- يحي بوعزيز: الثورة في الولاية الثالثة، ص: 52.

3- المعجم الوسيط؛ (باب الواو) ص: 1030.

4- المعجم الوسيط، (باب العين) ص: 612.

5- محمد مورو: الجزائر تعود لمحمد- صلى الله عليه وسلم-، ص: 79.

وسبيلهم إلى ذلك العمل على تحويل الثقافة الإسلامية ثقافة غربية، فهم يدركون تمام الإدراك بأن شعبا بلا ثقافة شعب ميت¹. ومن أساليبهم في الاعتداء على العلامات اللغوية استخدامهم للفظ "عربي" في بعض خطاباتهم، مثل: (قصة عربية): أي معقدة وغامضة، و(شغل أو عمل عربي): أي غير متقن، و(صندوق عربي): أي ضخم وممل ومزعج.

وكل سياق ترد فيه هذه العلامة اللغوية إلا وتحمل دلالة الاحتقار عندهم والدناءة والانحطاط والقبح.²

ومن المصطلحات أسماء العلم "أحمد" و"فاطمة"، فهما مستصغرين عندهم ويدلان على التخلف والجهل والوحشية. وفي مفهومنا الإسلامي يدلان على الطهارة والعفة والشرف.

1- ينظر العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، ص:11.

2- ينظر أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر؛ ص: 60.

وقد زعم الدكتور عبد المالك مرتاض في تحليله السيميائي لسورة الرحمن أن الكلام يجب أن يتعلق بالأقرب إليه وليس إلى السياق العام¹، باعتبار الخطاب القرآني نصا تابثا، فإني أرى أن الخطاب الثوري -بالإضافة إلى ذلك- يتعلق بنية المتكلم كونها أقرب بالارتباط، ونراعي في ذلك عدم تبات النص.

ولو أننا أخضعنا الخطاب الفرنسي إلى علم البلاغة لألفيناه غير متلائم معه، لأنه بعيد عن ثقافة العرب واعتقاداتهم ونمط تفكيرهم، وبذلك يصبح الكلام عاديا وواقعا حتى وإن تضمن بعض التشبيهات أو الاستعارات. بينما خطاب الثوار لم يخل من الأساليب البلاغية التي تحكمها القوانين النحوية، لأنهم يحسنون توظيفها حتى تؤدي اللغة وظائفها في مجال التواصل.²

وبإخضاع النص الثوري إلى الدراسة اللسانية التداولية وبعيدا عن فكر الجرجاني أو أوستين نتمكن إلى حد بعيد من تحقيق الفهم الصحيح لمضمون الكلام.

ثالثا: الخاتمة:

وختاما نخلص إلى القول بأن العدو الفرنسي كان له هدف إيديولوجي (عقدي) أكبر منه مادي، وهو محاربة الإسلام في دياره وعلى الأقل عرقلة نشره واتساع نطاقه وذلك خوفا منهم على تعطيل مصالحهم وحبا في الباطل، ووجدنا اللغة العربية هي المستهدف الأول لأنها لغة القرآن وهو محمول في الصدور.

أما الأحرار من الجزائريين فقد كان هدفهم تحقيق العيش في طيبة وعز وكرامة وحرية تحمل المعنى الحقيقي للإنسان، وبفضل إيمانهم بالنصر وسعيهم الصالح له كان الاستقلال للأحياء منهم وكانت الشهادة والخلود للذين قضوا نحبهم.

1- ينظر عبد المالك مرتاض: نظام الخطاب القرآني تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة، الجزائر 2001، ص: 65.

2- ينظر صابر الجباشة: من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، ص: 43.

يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: 97).

فالحياة الطيبة تحمل دلالتين متلازمتين: الأولى هي العزة والكرامة في الدنيا، والثانية هي حسن الجزاء في الآخرة.

فلتحيا الجزائر حرة آمنة مستقلة، والمجد والخلود لشهادتنا الأبرار.